

«قصائد ضاحكة».. محاولةٌ لشعرنة الحياة

ولعلَّ الملاحظة الأولى التي يلاحظها القارئ هي المحاولة الجادة لشعرنة الحياة وقضاياها الصغيرة خلافاً لِمَ درج عليه الشعر من التعالق مع القضايا الوجودية الكبرى في الحياة. ورغم أن الديوان يعالج قضايا صغيرة، إلا أن الشعر يتجلى في معناه الكبير، وهو تلك الوقفة التي يقفُّها الإنسانُ أمامَ شيءٍ مألوفٍ بطريقةٍ غير مألوفة.. أيّ بطريقةٍ مليئةٍ بالدهشة.. ثم يستنبطُ معانيَ جميلةٍ تعبّر عن تلك الدهشة.

الملاحظة الثانية هي قدرةُ الحنق الإبداعي الذي يتجاوز الغضبَ حدّةً.. قدرة هذا الحنق على تفجير الجُملة الشعرية تفجيراً درامياً كما في قصيدة (شمشون الخسارة):
فاشترى للبَابِ قفلاً

في الختام أزعِمُ أنَّ الحياة بكلِّ قيمها ومبادئها هي الوطن الحقيقي الذي ينتمي إليه الشاعر بابِ مرضاض الفذاره
خائفاً أنْ ينهبَ الناسُ
من الكوعِ ادَّخاره
قلتُ: يا هذا تَمَهِّلُ
مِلَاتَ عن خَطِّ المهاره
إنَّ من يدخل يعطيك
فلا تخشَ الخساره

ونفس التفجّر الدرامي يتّصح في قصيدة (ارحمونا):

أيّ نحسّ قد رمانى

في يدِ الدكتور (هاني)

جئتُه أشكوهُ داءً

وبدأين ابْتِلاني

الملاحظة الثالثة هي كتابة الضحك من أجل الضحك في حالةٍ وصفيّةٍ شبه خالصة لا تُحيل إلى إشارات أعمق ممّا هو طاقٍ على سطح الجملة الشعرية إلا ما ندر، وهذا ما جعلني أشعر بمبالغة الشاعر الجميل (عادل الرمل) في مقدّمة الديوان عندما تحدّث عن بكاء الضحك في القصائد.
أعتقد أن الكوميديا الشعرية يجدرُ بها أن تكون مُبطنّةً بالفجاعة التي تجعل الضحك يتجاوز كونه عمليةً استهلاكيةً، وكأنَّ الفجاعة تُمثّلُ عنصراً هامّاً من عناصر تفعيل الضحك، حيث تتحوّل الفقهفاتُ المجلجلة إلى سلاحٍ ضدَّ الزمن وخطّ دفاع -ربّما يكون خطّ الدفاع الأخير- في وجه الدنيا وذلك بتحويل كل الأشياء إلى سخرية.

الملاحظة الرابعة هي ما أشار إليها الناقد (محمد الحرز) في دراسته عن الديوان والتي تلخّص في المحافظة على الهوية الأحسائية عبر توظيف مفردات هذه الهوية الموروثة واستنساخ الملامح الهامّة في شخصيّة اللهجة الهجرية.

في الختام أزعِمُ أنَّ الحياة بكلِّ قيمها ومبادئها هي الوطن الحقيقي الذي ينتمي إليه الشاعر، لذلك يجب على هذا الشاعر أن يكونَ يقطاً كالجيش من أجل حراسة وطنه/الحياة.. والحراسة هذه هي

ما قصدتُهُ في البداية بالشعرنة. وإذا ما علمنا أنَّ اللغة هي سلاح الشاعر، كان على هذا الأخير أن ينصب متراساً لغويّاً عند كلِّ قيمة من القيم، وعند كلِّ مبدأ من المبادئ من أجل مقاومة كلِّ محاولة انتهاك.. وبناءً عليه يُصبح الضحك الشعريُّ في هذا الديوان جنديّاً مقاوماً يتصدّى لغزو الرذائل إلى آخر قهقهة.

ويبقى السؤال هنا: إلى أيِّ مدى نجحت متاريسُ شاعرنا المنصوبة على حدود الإنسانية في الحفاظ عليها من الغزو؟ وهل كانت تلك المتاريسُ صلبة كال فولاذ أم هشة كالصفيح؟ واللغة.. هل عانت الجوهر بما يكفي لمقاومة العاصفة، أم بقيت على السطح مما يسمح بسقوطها مع أول ريحٍ عابرة؟ هذه أسئلةٌ مشروعةٌ وإن كنتُ أنحاز للديوانِ انحيازاً كبيراً، وألمسُ فيه قدرةً فائقة على تفتيت حصاة الهم وطردها خارج روح القارئ.